

السؤال

أواجه أذى من أهل زوجي ، أي أنهم يتكلموا عني كثيرا وربما يخرجون أسراري هداهم الله وغفر لهم وأنا بفضل الله أصبر على أذاهم وأحتسب ذلك عند الله ، ولكن بعض الأوقات أشعر بضيق شديد وأشعر أنني لم أعد أتحمّل وأتمنى لو لم أكن علمت هؤلاء الناس مع أن زوجي ولله الحمد يتقي الله في ولكنه مسافر وأنا أعيش مع أهله فلا بد لي من المشاكل ، وسؤالي : هل ضيقي وشعوري بعدم التحمل ينافي الصبر ؟ وكيف أصل لدرجة الرضا بحيث أرى ما أنا فيه هو نعمة من الله فقدره كله خير ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

قد أحسنت في صبرك على أذى أهل زوجك واحتسابك ذلك عند الله تعالى . وتلك درجة عالية من درجات الإيمان نسأل الله تعالى أن يجزيك عليها خيرا ، ويعوضك خيرا . قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (الْمُسْلِمُ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يَخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ) رواه الإمام أحمد (5002) ، والترمذي (5307) ، وصححه الألباني في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (939) .

ثانياً :

هناك فرق بين الصبر والرضا ، فرق في التعريف ، و فرق في الحكم . أما الحكم ، فالصبر واجب ، بحيث يأثم الإنسان إذا لم يصبر على ما أصابه من مكروه ، ويعرض نفسه بهذا لعقوبة الله تعالى .

وأما الرضا ، فهو درجة أعلى من الصبر ، وهي درجة السابقين بالخيرات ، ولذلك كانت مستحبة وليست واجبة ، فلا يأثم المسلم إذا لم يصل إليها ، غير أنه مطالب بمجاهدة نفسه والشيطان حتى يصل إلى تلك الدرجة العالية .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (10/682) :

" الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل : مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب ، وقد قيل : إنه واجب ، والصحيح أن الواجب هو الصبر " انتهى .

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب ، لكن يجب الصبر عليه " انتهى من " مجموع فتاوى ابن عثيمين " (2/92) .

وأما الفرق بين الصبر والرضا في التعريف ، فالصبر هو أن يمنع الإنسان نفسه من فعل شيء ، أو قول شيء يدل على كراهته لما قدره الله ، ولما نزل به من البلاء ، فالصابر يمسك لسانه عن الاعتراض على قدر الله ، وعن الشكوى لغير الله ، ويمسك جوارحه عن كل ما يدل على الجزع وعدم الصبر ، كاللطم وشق الثياب وكسر الأشياء وضرب رأسه في الحائط وما أشبه ذلك .

قال ابن القيم رحمه الله في " عدة الصابرين " (ص/231) :

" الصبر : حبس اللسان عن الشكوى الى غير الله ، والقلب عن التسخط ، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها " انتهى .

وأما الرضا فهو صبر وزيادة ، فالراضي صابر ، ومع هذا الصبر فهو راضٍ بقضاء الله ، لا يتألم به .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

"الصبر : يتألم الإنسان من المصيبة جدا ويحزن ، ولكنه يصبر ، لا ينطق بلسانه ، ولا يفعل بجوارحه ، قابض على قلبه ، موقفه أنه قال : (اللهم أجرنى في مصيبتى ، وأخلف لي خيرا منها) ، (إنا لله وإنا إليه راجعون) ...

الرضا : تصيبه المصيبة ، فيرضى بقضاء الله .

والفرق بين الرضا والصبر : أن الراضي لم يتألم قلبه بذلك أبدا ، فهو يسير مع القضاء (إن إصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له) ، ولا يرى الفرق بين هذا وهذا بالنسبة لتقبله لما قدره الله عز وجل ، أي إن الراضي تكون المصيبة وعدمها عنده سواء " انتهى من " مجموع فتاوى ابن عثيمين " (3/206) .

ثالثاً :

مجرد شعور الإنسان بالضيق وعدم التحمل ، وتمنيه أن ما وقع به من الشدة لم يكن وقع .. كل هذا لا ينافي الصبر ، مادام قد أمسك قلبه ولسانه وجوارحه عن كل ما يدل على الجزع ، وما دام لم يعترض على قضاء الله تعالى ، بل الصبر في الغالب لا يكون إلا مع هذا الضيق والمشقة والتعب .

وأما الراضي : فلا يجد ذلك الضيق والألم ؛ لأنه يعلم أن الله تعالى لن يختار له إلا ما هو خير ، فهو يتقلب فيما يختاره الله بنفس راضية مطمئنة .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

"الصبر مثل اسمه مر مذاقته ... لكن عواقبه أحلى من العسل

فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقیل علیه ویکرهه ، لكنه یتحملة ویتصبر ، ولبس وقوعه وعدمه سواء عنده ، بل یکره هذا ، ولكن إیمانه یحمیه من السخط .

والرضا ، وهو أعلى من ذلك ، وهو أن یكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره ، وإن كان قد یحزن من المصيبة ؛ لأنه رجل یسبح فی القضاء والقدر ، أينما ینزل به القضاء والقدر فهو نازل به على سهل أو جبل ، إن أصیب بنعمة ، أو أصیب بضدها ، فالكل عنده سواء ، لا لأن قلبه میت ، بل لتمام رضاه بربه سبحانه وتعالى یتقلب فی تصرفات الرب عز وجل ، ولكنها عنده سواء ، إذ ینظر إليها باعتبارها قضاء لربه" انتهى من " مجموع فتاوى ابن عثیمین " (10/692) .

رابعاً :

هناك درجة أعلى من الرضا وهي درجة الشکر ، بأن یشکر الإنسان الله تعالى على ما أصابه من بلاء وشدة ، فیرى أن ما أصابه كان نعمة من الله ولذلك یقوم بشکرها .

ویصل الإنسان إلى درجة الصبر ثم الرضا ثم الشکر بما یأتی :

1- أن ینظر إلى اختیار الله تعالى له ، وأن الله لن یختار له إلا الخیر . قال النبی صلی الله علیه وسلم : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) رواه مسلم (2999) .

2- أن یتأمل فیما أصابه : فإنه سبب لتکفیر ذنوبه ، حتى یلقى الله تعالى طاهرا من الخطایا ، قال صلی الله علیه وسلم : (مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ) رواه الترمذی ، وصححه الألبانی فی " سنن صحیح الترمذی " .

3- أن ینظر إلى ما أصابه وأن الله تعالى رفق به فيه ، فکم من الناس أصیب بما هو أشد من ذلك وأعظم ؟ قال ابن القيم فی الفوائد (113-1/112) بعد أن ذکر الصبر والرضا : " عبودية العبد لربه فی قضاء المصائب الصبر علیها ، ثم الرضا بها وهو أعلى منه ، ثم الشکر علیها وهو أعلى من الرضا ، وهذا إنما یتأتى منه ، إذا تمكن حبه من قلبه ، وعلم حسن اختیاره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة ، وإن کره المصيبة " انتهى .

4- أن ینظر إلى عواقب الابتلاء والشدة ، وأن الله یسوقه إليه بهذه الشدة التي تجعله یكثر من ذکر الله تعالى ودعائه والتضرع إليه .

5- أن ینظر إلى ثواب الصبر والرضا (إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) الزمر: 10 ، وقال النبی صلی الله علیه وسلم : (إِنْ عَظُمَ الْجَزَاءُ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخَطَ فَلَهُ السَّخَطُ) رواه الترمذی وصححه الألبانی فی " سنن صحیح الترمذی " . ورضا الله تعالى عن العبد أعظم من دخول الجنة ، قال الله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) التوبة/72 . وقال النبی صلی الله علیه وسلم : (إِنْ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ

أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ . فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ! فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَجِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أُسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) رواه البخاري (6549) ، ومسلم (2829) .

قال ابن القيم في " طريق الهجرتين " (1/417) بعد أن ذكر نحواً من هذه الأسباب التي تعين العبد على الرضا بقضاء الله تعالى : " فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبر على البلاء ، فإن قويت أثمرت الرضا والشكر " انتهى .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين الراضين الشاكرين .

والله أعلم .